التوجيه الصوتي لظاهرة التقاء الساكنين بأثر الإدغام في القراءات القرآنية

م. م. حيدر نجم عبد زيارة
جامعة القادسية/ كلية التربية

تقديم وخلاصة

يُعنى هذا البحث بإظهار ودراسة التوجيه الصوتي لمظهر من مظاهر التقاء الساكنين في العربية في درج الكلام، أي (وصله) – لا في الوقف، وهو(التقاء الساكنين بأثر الإدغام)، وقد حصل هذا الإدغام؛ نتيجة التماثل، أو التقارب في الصفة، أو المخرج، أو الصفة والمخرج معاً ما بين الحرفين المدغمين، ومن ثمّ كان الالتقاء ما بين الساكن الأول وهو (حرف صحيح)، والساكن الثاني وهو (الحرف المدغم).

وكانت القراءات القرآنية أرضيةً خصبةً لتمثيل هذه الظاهرة، وهي في جلّها قراءات سبعيّة وعشرية لها ثقلها في الواقع اللّغوي عند العرب. وطالما كان متن الظاهرة (القراءات القرآنية)، كان لزاماً علينا أن نجد التوجيه المناسب لمن قرأ بهذه القراءات، بعد أن أُثير لَغَطٌ كثير بين علماء اللغة والقراءات حول هذا الالتقاء وإمكانية النطق به، إذ يرى جُلُّهم استحالة أداء ساكنين متلاصقين في درج الكلام في آنٍ واحد، إذا لم يكن الأول حرف مدّ ولين.

وتمت الإفادة من فكرة أستاذ الخليل وسيبويه **يونس بن حبيب** (ت ١٨٣هـ) في توجيه هذه القراءات التي جعل فيها (الصوت المشدد) صوتاً واحداً، وذلك في النسب إلى الاسم الخماسي المنتهي بألف منقلبة عن أصل وما قبلها حرف مشدد، فقد جعلها بمنزلة الرباعي. وقد أفاد من هذه الفكرة بعض النحويين والقراء كأبي علي الفارسي، وأبي عمرو الداني، وابن الجزري.

وكان للإدغام أثرٌ في التحولات المقطعية، فهي مألوفة وشائعة في الواقع الكلامي قبل الإدغام؛ بيد أنّها انحسرت وقلّ شيوعها بعد الإدغام، إذ ظهر نوعٌ خاصّ من المقاطع من ناحية التشكيل؛ يتمثل بتجاور صامتين في مقطع واحد، أو ثلاثة صوامت في مقطعين متجاورين من دون مصوّت. وقد ساعد هذا في وضوح وتجلي فكرة عدّ الصوت المشدد صوتاً واحداً في النطق، وجعل المقطع الخاصّ به مقطعاً صوتياً وليس تشكيلياً من أجل تيسير النطق بهذه القراءات وقبولها.

التقاء الساكنين بين اغتفاره وطرق التخلص منه

من القضايا الصوتية المهمّة التي شغلت اللّغويين القدماء منهم والمحدثين قضية (التقاء الساكنين)، ويبدو أنّ الذي سوّغ عنايتهم بهذه القضية هو اتصالها بالجانب الأدائي (النُطقي) ؛ بسبب الثقل أو ربّما عجز آلة النطق عن أداء ساكنين متلاصقين في الدرج في آن واحد ((من قبل أنّ الحرف الساكن كالموقوف عليه وما بعده كالمبتدأ به، ومحال الابتداء بالساكن، لذلك امتنع التقاؤهما))[١]. بيد أنّ ذلك لم يمنعهم من أن يبيحوا هذا الالتقاء في أماكن ظفروا بها عند تقصيهم الواقع اللغوي، فحددوا على أثرها مواضعَ أربعة يغتفر فيها هذا الالتقاء، وهي[٢]:

١- في حالة الوقف المطلق سواء أكان الساكن الأوّل حرفا صحيحا، نحو:(**بَكْرْ**)، أم حرفَ علّة، نحو:(**زَيْدْ**)، وقد سوّغوا لهذا الالتقاء بقولهم:((إنّ الوقف سدّ مسدّ الحركة، لأنّ الوقف على الحرف يُمكّن جرس ذلك الحرف ويوفّر الصوت عليه، فيصير توفير الصوت بمنزلة الحركة له))[٣].

٢- إذا كان الساكن الأوّل حرف مدّ أو لين، والثاني مُدغماً، واشترطوا فيهما أن يكونا في كلمة واحدة نحو: (دابّة، وشابّة)، فإن لم يكونا في كلمة واحدة لم يغتفر هذا الالتقاء، وإنّما يحذف حرف المدّ تخلصاً منه كما

هو حكم أوّل الساكنين إذا كان حرف مدّ، وقد علّلوا لهذا الاغتفار بقولهم: ((إنّ المدّ الذي في حروف المدّ يقوم مقام الحركة، والساكن إذا كان صحيحاً مدغماً يجري مجرى المتحرك ؛ لأنّ اللسان يرتفع بهما دفعة واحدة))[٤].

٣- إذا دخلت همزة الاستفهام، وهي همزة قطع مفتوحة على همزة الوصل، وذلك مع لام التعريف، نحو: (آلحسن عندك)، وايمن القسم، نحو: (آيمنُ الله)، فلا تحذف همزة الوصل مع أنّ القياس حذفها ((لئلا يلتبس الاستخبار بالخبر ؛ لأنّ حركة الهمزتين متفقتان))[٥]، فيلتقي ساكنان هما: الألف، ولام التعريف، ممّا يستوجب المدّ للتخلص منه.

٤- ما سُمِعَ من العرب في القسم، نحو: (لاها اللهِ) و (إيْ الله)، وقد جاز الالتقاء في هذا الموضع ((ليكون كالتنبيه على كون ألف (ها) من تمام (ذا)، فإنّ (ها الله ذا) بحذف ألف (ها) رُبّما يوهم أنّ الهاء عوض عن همزة (الله) كهرقتُ في أرقتُ، وهيّاك في إياك))[٦].

وممّا سُمِعَ من أمثالهم، وقد التقى فيه ساكنان، قولهم: (التقت حلقتا البطان)، وقد سوّغ ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) هذا الالتقاء بقوله: ((فالقياس حذف الألف كما حذفوها في نحو : غلاما الرجل، وكأنّ الذي سوّغ ذلك إرادة تفضيع الحادثة بتحقيق الثانية في اللفظ))[٧]. وقد أدخل الدكتور تمّام حسّان هذا الاغتفار في إطار التفريق بين المعاني، بمعنى أن لا يلتبس المثنى أو الجمع بالمفرد إذا حُذف الساكن الأوّل، إذ قال: ((وفي الفصحى المعاصرة صور من صور الاغتفار دعت إليها ضرورة التفريق بين المعاني ... فإذا قرأنا العبارة الآتية: (لمّا وصل الضيف تقدّم حاملا العلم إلى المنصّة أدركنا أنّها يمكن أن تلتبس بعبارة : (لمّا وصل الضيف تقدّم حاملَ العلم إلى المنصّة، والشيء الوحيد الذي يمنع هذا اللبس هو مدّ الألف في كلمة (حاملا)، واغتفار الساكنين في هذا الموضع ونحوه))[٨].

وعلى الرغم من إباحتهم الالتقاء في هذه المواضع، إلاّ أنّهم تفنّنوا في الطرق التي سلكوها للتخلص من هذه الكراهة ؛ نتيجة الثقل الذي يعتري النطق، وقد تمثلت هذه الطرق بصورٍ متعددة، هي[٩]:

١- **التحريك:** شاع في مدوناتهم أنّ التحريك يقع على الساكن الأوّل ويكون بحركة الكسر حتى عدّوها من سجيّة النفس كما يقول الرضي الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) : ((والأصل في تحريك الساكن الأوّل الكسر لما ذكرنا أنّه من سجيّة النفس، إذا لم تُستكره على حركة أخرى))[١٠]، إلاّ أنّ ذلك لا يعدم أن نظفر بألفاظ وشواهد حُرك فيها الساكن الثاني لا الأوّل وبحركة أخرى غير الكسر، نحو: (كَيْفَ، أَيْنَ، نَحْنُ، مُنْذُ). ومن الشواهد الشعرية التي حُرّك فيها الساكن الثاني لا الأوّل، قول الشاعر[١١] :

ألا رُبَّ مولودٍ وليس له أبٌ وذي ولدٍ لم يَلْدَهُ أبوانِ

والأصل فيها (يَلِدْهُ) بكسر اللام وسكون الدال، إلاّ أنّهم سكّنوا اللام ومن ثمّ التقى ساكنان، هما: اللام والدال، فحركوا الساكن الثاني (الدال).

٢- **الحذف:** ويكون ذلك بحذف الساكن الأوّل الذي اشترطوا فيه أن يكون حرف مدّ (حركة ما قبله من جنسه)، قال ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ): ((فإنّ كان غير ذلك، وأوّلهما مدّة حُذِفَتْ، نحو: خَفْ، وقُلْ، وبِعْ، وتَخْشَيْنَ، واغزُوْا، وارمِيْ، واغزُنَّ، وارمِنّ، ويخشَىْ القوم، ويغزُوا الجيش، ويرمِيْ الغرض))[١٢].

وقد جاء الحذف أيضاً في (التنوين)، وذلك في بعض القراءات القرآنية، قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) : ((والتنوين ساكنٌ أبداً إلاّ أن يلاقي ساكنا آخر فيُكسر أو يُضم، كقوله تعالى: (عذابِنِ اركض)[١٣] وقرئ بالضم، وقد يحذف

كقولـه تعـالى: (قُلْ هـو الله أحدٌ الله الصـمد)[١٤]، فقد اجتمـع سـاكنان فـي الوصـل همـا: التنـوين مـن أحدٌ، ولام التعريف من لفظ الجلالة، وقد حُذف التنوين هنا على قراءة أبي عمرو بن علاء، وعدد من القراء[١٥].

٣- **الهمـز**: أي التـخلص مـن السـاكنين بهمـز الأوّل منهمـا، قـال أبـو علـي الفارسـي(ت ٣٧٧هـ):((قـالوا: جـأنٌ، ودأبـةٌ... فكرهـوا التقـاء السـاكنين مـع أنّ الثـاني منهمـا مـدغم يرتفـع اللسـان عنـه وعـن المـدغم فيـه ارتفاعـةً واحدة))[١٦]. وممّا جاء في القراءات القرآنية قراءة أيوب السختياني (ولا الضألين)[١٧] بالهمز، قال ابن جني (ت ٣٩٢هـ):((ذكر بعض أصحابنا: إنّ أيوبَ سُئِل عن هذه الهمزة، فقال:هي بدل من المدّة لالتقاء الساكنين))[١٨].

٤- **نقل الحركة:** ويكون ذلك بنقل الحركة الموقوف عليها في الحرف الأخير إلى الساكن الذي يسبقه، تخلصا من التقاء الساكنين في الوقف، قال سيبويه (ت١٨٠هـ):((هذا باب الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيُحرك لكراهيتهم التقاء الساكنين))[١٩]. ويظهر أنّه ليس التخلص من التقاء الساكنين في الوقف كان الهدف من هذا النقل وإنّما التنبيه على حركة الحرف الموقوف عليه. قال ابن يعيش: ((ومن الناس من يكره اجتماع الساكنين في الوقف كما يكره ذلك في الوصل، فيأخذ في تحريك الأول ؛ لأنّه هو المانع من الوصول إلى الثاني، فحركوه بالحركة التي كانت في حال الوصل، فإن كان مرفوعا حوّلوا الضمة إلى الساكن قبله، ويكون في ذلك تنبيه على أنّه كان مرفوعا، وخروج عن عهدة الساكنين، وكذلك الجرُّ...))[٢٠]. وممّا جاء في القراءات القرآنية على هذه الطريقة في التخلص من التقاء الساكنين قراءتهم في سورة (العصر)، قال ابن خالويه(ت ٣٧٠هـ): ((وقرأ سلاّم بن المنذر (والعصِرِ) بكسر الصاد والراء. وهذا إنّما يكون في نقل الحركة عند الوقف ... ومثله قولُه في قراءة أبي عمرو(وتواصوا بالصّبِرْ) [إنّما أراد بالصبْرِ] فنقل الحركة إذ كانت العرب لا تبتدئ إلاّ بمتحرك ولا تقف إلاّ على ساكن))[٢١].

قراءات التقاء الساكنين بأثر الإدغام

أمّا القراءات التي نحن بصددها، وهي مدار البحث، فقد جُمع فيها بين ساكنين في درج الكلام على غير حدّة، ثانيهما الحرف المدغم (المشدّد)، وأوّلهما الساكن السابق عليه وهو (حرف صحيح) لا مدّ ولا لين فيه، ومن خلال استقصاء هذه المواضع في القراءات، اتّضح أنّ الالتقاء كان بأثر الإدغام الحاصل بين حرفين – نتيجة التماثل، أو التقارب في الصفة أو المخرج بينهما، ولولاه – أي الإدغام – لما حصل الالتقاء، أضف إلى ذلك أنّ النطق بساكنين في الوصل ما كان له أن يكون لو لم يكن الساكن الثاني حرفا مدغماً ؛ لأنّ النطق العربي يأبى الجمعَ بين ساكنين في الوصل خارج هذا الموضع، وقد تمثلت هذه القراءات بالآتي:

(**يَخْطَفُ**)[٢٢]: قال الفراء:((وبعضٌ من قرّاء أهل المدينة يسكّن الخاء والطاء فيجمع بين ساكنين فيقول: يَخْطِّفُ))[٢٣]. وقال ابن مجاهد:((وحكى الفرّاء أنّ بعض أهل المدينة يسكّن الخاء والطاء ويشدد فيجمع بين ساكنين، ولا نعلم أنّ هذه القراءة رويت عن أهل المدينة))[٢٤]. وقال ابن جنّي:((أصله يَخْتطف فأثر إدغام التاء في الطاء ؛ لأنّهما من مخرج واحد، ولأنّ التاء مهموسة والطاء مجهورة، والمجهور أقوى صوتا من المهموس))[٢٥]. وقال ابو حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ): ((قرأ مجاهد (يَخْطَّف) بسكون الخاء وتشديد الطاء وفيه اجتماع ساكنين. وقرأ بعض أهل المدينة (يَخْطِّفُ). وروى سيبويه مثل هذا))[٢٦].

(**فَنِعْمّا هي**)[٢٧]: قال أبو علي الفارسي: ((قرأ نافع في غير رواية ورش وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر والمفضّل (فَنِعْمّا) بكسر النون والعين ساكنة))[٢٨]

(**نِعْمّا**): قال الزجاج : ((... فأمّا من قرأ (نِعْمّ ما) بإسكان العين والميم فهو شيء ينكره البصريون ويزعمون أنّ اجتماع الساكنين – أعني العين والميم – غير جائز))[٢٩] وقال أبو حيّان الأندلسي: ((قرأ نافع في رواية أبي بكر والمفضل وأبو جعفر واليزيدي (نِعْمّا) بإسكان العين فيكون جمعاً بين ساكنين))[٣٠].

(**يَخْصِفان**)[٣١]: ((قرأ الأعرج وأبو عمرو (يَخْصِّفان) بسكون الخاء وكسر الصاد المشددة وفيه الجمع بين ساكنين))[٣٢]. قال الأخفش: ((جعلها من يختصفان فأدغم التاء في الصاد فسكنت وبقيت الخاء ساكنة فحركت بالكسر لاجتماع الساكنين))[٣٣].

(مـردفين)[٣٤]: ((قـرأ عاصـم ـــــ (مُـرْدِفين) بسـكون الـراء وتشـديد الـدال جمعـاً بـين سـاكنين))[٣٥]، قـال النحاس:((وأمّا مُرْدّفين فتقديره عند سيبويه : مرتدفين ثم أدغم التاء في الدال فألقى حركتها على الراء لئلاّ يلتقي ساكنان، ومن قال: مُرِدّفين كسر الراء لالتقاء الساكنين))[٣٦].

(**يَهْدِي**)[٣٧]:((قرأ نافع وأبو عمرو (يَهْدِّي) بإسكان الهاء وتشديد الدال))[٣٨]، قال الزجاج:((والذين جمعوا بين ساكنين الأصل عندهم (يهتدي) فأدغمت التاء في الدال وتركت الهاء ساكنة فاجتمع ساكنان))[٣٩].

(**فما اسْطَاعوا**)[٤٠]: ((كُلُهم قرأ (فما اسْطَاعوا) بتخفيف الطاء غير (حمزة) فإنّه قرأ (فما اسْطّاعوا) يريد (فما استطاعوا) ثم يدغم التاء في الطاء))[٤١]. قال النحاس(ت ٣٣٨هـ):((حكى أبو عبيد أنّ حمزة كان يدغم التاء في الطاء ويشدد الطاء. قال أبو جعفر: وهذا الذي حكاه أبو عبيد لا يقدر أحدٌ أن ينطق به ؛ لأنّ السين ساكنة، والطاء المدغمة ساكنة. قال سيبويه: هذا محال إدغام التاء فيما بعدها، ولا يجوز تحريك السين لأنّها مبنية على السكون))[٤٢]. وقال الزجاج:((من قرأ (فما اسطّاعوا) بإدغام التاء في الطاء فلاحنٌ مُخطئ ... وحجتهم في ذلك أنّ السين ساكنة فإذا أدغمت التاء صارت طاء ساكنة ولا يجمع بين ساكنين))[٤٣].

(يَخِصّـمون)[٤٤]:((قـرأ نـافع (يخْصّـمون) سـاكنة الخـاء مشـددة الصـاد))[٤٥]. قـال الفراء:((وقرأهـا أهـل الحجـاز (يَخْصِّـمون) يشـدّدون ويجمعـون بـين سـاكنين. وهـي فـي قـراءة أُبـي بـن كعـب (يَخْتصـمون) فهـذه حجـة لمـن يشدد))[٤٦]. وقال النحاس:((وإسكان الخاء لا يجوز لأنّه جمع بين ساكنين وليس أحدهما حرف مدّ ولين))[٤٧]

(**تعْدُوا**)[٤٨]: ((قرأ نافع (تَعْدّوا) بتسكين العين وتشديد الدال))[٤٩]، قال أبو علي الفارسي: ((فأمّا قراءة نافع (لا تَعْدّوا) فإنّه يريد (لا تفتعلوا) فأدغم التاء في الدال ؛ لتقاربهما ؛ لأنّ الدال تزيد على التاء بالجهر، وكثير من النحويين ينكرون الجمع بين ساكنين إذا كان الثاني منهما مدغما ولم يكن الأوّل حرف لين))[٥٠]، وقال النحاس: ((والأصل فيه (تعتدوا) فأُدغمت التاء في الدال، ولا يجوز إسكان العين ولا يوصل إلى الجمع بين ساكنين في هذا والذي يقرأ بهذا إنّما يروم الخطأ))[٥١].

لا جرم بعد في أنّ ما تقدّم من قراءات قد جمع فيها بين ساكنين في الوصل، الأوّل: هو الحرف الصحيح، والثاني: هو المدغم، فالأصل في:(يَخْطَّف، يخصّفان، مُرْدّفين، تعْدّوا، اسْطّاعوا، يَهْدّي يَخْصّمون) هو:(يختطف، يختصفان، مرتدفين، تعتدوا، استطاعوا، يهتدي، يختصمون) وقد أدغمت هذه الأحرف المتقاربة في الصفة أو المخرج، ونجم بأثر هذا الإدغام ما يعرف عند النحويين بـــ(التقاء الساكنين). ويدخل في هذا الالتقاء – أي بأثر الإدغام – ما يعرف عند القراء بـــ(الإدغام الكبير)[٥٢] و ((المشهور به والمنسوب إليه والمختص به من الأئمة العشرة هو أبو عمرو بن العلاء، وليس بمنفرد به بل قد ورد أيضاً عن الحسن البصري وابن محيصن والأعمش وطلحة بن مصرف وعيسى بن عمر ...))[٥٣] ومن أمثلته: ((شهْرْ رّمضان، والرعْبْ بّما، لبعْضْ شّأنهم والمهْدْ صّبيا، ومن بَعْدْ ظّلمه، والعفْوْ وّأمر، نحْنْ نسبّح))[٥٤].

ويدخل أيضاً في هذا الالتقاء ما يعرف عند القراء بـــ(تاءات البَزّي)[٥٥] إذ كان يدغم البزي في روايته عن ابن كثير التاءين في أوّل الأفعال المضارعة، ومن ثمّ يجمع بين ساكنين في الوصل هما: التاء المشددة في أوّل المضارع، والساكن الصحيح السابق عليها، وذلك في المواضع الآتية :((هلْ تّربّصون، وإنْ تّولّوا فإنّي أخافُ، إذْ تّلقونه، فإنْ تّولوا فإنّما عليه، على منْ تّنزّل، أنْ تّبدل بهن، أنْ تّولوهم، ناراً تّلظّى، شهرٍ تّنزّل))[٥٦].

آراء النحويين والقراء في القراءات

في الواقع لم تسلم هذه القراءات من النقد والتشكيك الذي وجّه إليها، لا بل حتى الرفض، فهي في نظرهم تقع خارج الشروط والضوابط التي اجترحوها لالتقاء الساكنين وسُبُل التخلص منه، إذ رأوا أنّ النطق بساكنين متلاصقين في الوصل هو ممّا تأبى العربية تحقيقه، فراحوا يشككون في صحة نقلها، ودقّة سماعها، ونفي الإدغام الذي خلّف هذا الالتقاء، والتعبير عنه بالإخفاء والاختلاس، ويتضح هذا بما قاله إمام النحاة (سيبويه) الذي رأى أنّ هذا إخفاء لا إدغام، ومن ثمّ لا التقاء ما بين ساكنين إذ قال: ((وإذا كان قبل الحرف المتحرّك الذي بعده حرف مثله سواء حرف ساكن، لم يجز أن يسكّن، ولكنّك إن شئت أخفيت وكان بزنته متحركاً))[٥٧]، وتابع سيبويه كثير من النحويين، قال الأخفش (ت ٢١٦هـ) في قراءة من قرأ (نِعْما) : ((وقولهم: إنّ العين ساكنة من (نِعِمّا) إذا أدغمت خطأ ؛ لأنّه لا يجتمع ساكنان، ولكن إذا شئت أخفيته فجعلته بين الإدغام والإظهار))[٥٨]، ولم يبعد الفراء كثيراً عن سيبويه والأخفش حينما وصف الإدغام في مثل هذه القراءات بأنّه إدغام خفي، إذ قال: ((وبعض من قراء أهل المدينة يسكن الخاء والطاء فيجمع بين ساكنين، فيقول: (يَخْطّف) ... وأمّا من جمع بين ساكنين فإنّه كمن بنى على التبيان إلاّ أنّه إدغام خفيٌّ، وفي قوله: أمْ مّن لا يهْدّي ... وفي قوله: يخْصّمون مثل هذا التفسير))[٥٩]، أمّا الزجّاج فقد وصف من قرأ (فما اسْطّاعوا) بأنّه لاحن مخطئ، إذ قال: ((فأمّا من قرأ : فما اسْطّاعوا بإدغام التاء في الطاء فلاحنٌ مخطئ، زعم ذلك النحويون الخليل ويونس وسيبويه، وجميع من قال بقولهم، وحجتهم في ذلك أنّ السين ساكنة، فإذا أدغمت التاء صارت طاء ساكنة ولا يُجمع بين ساكنين))[٦٠]، ونسب ابن خالويه (ت٣٧٠هـ) بعضاً من هذه القراءات إلى الإخفاء واختلاس الحركة، بعد التشكيك في نقلها، إذ قال: ((فأمّا ما رواه اليزيدي عن أبي عمرو أنّه كان يسكن الهاء ويشمّها شيئاً من القبح، فإنّه وهم في الترجمة، لأنّ السكون ضد الحركة ولا يجتمع الشيء وضده، ولكنّه من إخفاء الحركة واختلاسها))[٦١]، لا بل وصف بعض هذه القراءات بالقبح، إذ قال في قراءة من قرأ (تعْدُّوا):((وروي عن نافع إسكان العين وتشديد الدال، وهو قبيح))[٦٢].

ومن القراء من احتج بما قاله النحويون، كما نقل لنا ابن يعيش عن ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ)، إذ قال: ((يترجمون عنه بإدغام وليس بإدغام، إنّما هو إخفاء، والإخفاء اختلاس الحركة وتضعيف الصوت، وعلى هذا الأصل ينبغي أن يُحمل كل موضع يذكر القراء أنّه مدغم والقياس يمنع منه ... وما أشبه ذلك من حرف مدغم قبله ساكن صحيح))[٦٣]، وقال مكي القيسي (ت٤٣٧هـ) في قراءة من قرأ (وما اسْطّاعوا) : ((وحجّة من شدّد أنّه أدغم التاء في الطاء ؛ لقرب التاء من الطاء في المخرج ؛ ولأنّه أبدل من التاء إذا أدغمها حرفاً أقوى منها وهو الطاء، لكن في هذه القراءة بُعْدٌ وكراهةٌ ؛ لأنّه جمع بين ساكنين ليس الأوّل منهما حرف لين وهما السين وأوّل المشدّد))[٦٤].

يبدو أنّ عسر النطق بساكنين متجاورين في الدرج، الأوّل منهما صامت (صحيح) والثاني صوت مدغم (مشدّد)، كان السبب وراء تضعيف النحويين وبعض القراء لهذه القراءات، ووصفهم لها بالقبح، وقد اعترف ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) نقلاً عن ابن مجاهد بالصعوبة الناتجة في النطق بأثر هذا الإدغام، فقال: ((بلغني عن

ابن مجاهد أنّه كان لا يُمكّن من إدغامها إلاّ حاذقاً))[٦٥]. وكذلك ؛ لأنّ النحويين أهل قياس ونظر يخضعون هذه القراءات للعقل والمنطق، فما خالف أقيستهم ضعّفوه، ولحّنوا قائله، وشككوا في دقة نقله. إلاّ أنّ ذلك لا يعني أن نقف مكتوفي الأيدي أمام توجيه هذه القراءات، وبيان علل القراءة بها، خاصّة وأنّ جُلّ هذه القراءات سبعية وقد قُرئ بها ؛ لا بل إنّ من قرأ بها أرجع سندها إلى النبي محمد ﷺ، قال السفاقسي (ت١١١٨هـ):((إنّ الحقّ الذي لا شكّ فيه والتحقيق الذي لا تعويل إلاّ عليه أنّ الجمع بين ساكنين جائز ؛ لورود الأدلة القاطعة به فما من قارئ من السبعة إلاّ وقرأ به في بعض المواضع، واختاره جماعة من أئمة اللغة منهم : أبو عبيدة وناهيك به، وقال: هو لغة النبي ﷺ))[٦٦]، لا بل إنّ من النحويين من يصرّح بوجود طاقة في اللسان على أداء ساكنين في الوصل، قال أبو علي الفارسي: ((ومن قال: (يَخْصّمون) جمع بين ساكنين الخاء والحرف المدغم، ومن زعم أنّ ذلك ليس في طاقة اللسان ؛ ادّعى ما يعلم فساده بغير استدلال))[٦٧]. والقراءة على ما تقدّم سنّة متبعة يجب الأخذ بها، وإيجاد المسوّغات لقارئها قال أبو عليّ الفارسي: ((إلاّ أنّه لا ينبغي أن يُخرج عمّا قرأت به القرّاء ؛ لأنّ القراءة سُنّة، فلا ينبغي أن تحمل على ما تجوّزه العربية))[٦٨].

توجيه القراءات في منظور القدماء والمحدثين

إنّ توجيه هذه القراءات يكمن في التخلص من هذا الالتقاء كما تُخُلّص منه في الطُرُق السابقة، من تحريك، وحذف، وهمز، ونقل للحركة[٦٩]، أمّا هنا فيتطلب منّا النظر في ماهية الساكن الثاني من الساكنين المتجاورين، وأعني به (الصوت المشدّد)، والتحقق من طبيعة تخلُّقه، وطريقة نطقه، وهذا لا يتأتى إلاّ عن طريق تتبع ما قالهُ القدماء والمحدثون في هذا الصوت، فمّما لا شك فيه أنّ الصوت المشدد ينظر إليه من وجهتين:

أوّلاً: الوجهة التكوينية (الصرفية): إذ لا مرية في أنّ الصوت المشدد يقابل صوتين من الناحية التكوينية (الصرفية) ((وعروض الشعر خير دليل على ما نقول فالحرف المشدد يقابل حرفين في التفعيلة، ومهما أطلنا الوقوف عليه، فإنّه لن يقابل حرفاً ثالثاً، كالميم في قولنا: (أمّا أخي) وهي تقابل السين والتاء في (مستفعلن) فكلمة (أمّا) تمثل مقطعين مغلقين : (أمْ + ما)، ولا يمكن أن ندّعي أنّها تساوي (أمَا) التي تمثل مقطعين: الأوّل مفتوح، والثاني مغلق : أ + ما))[٧٠]، وهذا يعني أنّ الصوت المشدّد مكوّن من صوتين: الأوّل ساكن، والثاني متحرك، أي إنّه يساوي ((صامت مكرر كما يحدث عندما تنقسم الحركة الطويلة إلى حركتين قصيرتين))[٧١].

وهنا يكون الأمر أكثر تعقيداً مع توجيه هذه القراءات ؛ لأنّه يؤدي إلى الجمع بين ثلاثة سواكن متجاورة من دون حركة فاصلة[٧٢]، وهي:

يخْطّفُ = خ + (الطاء التي أصلها تاء (يختطف) + الطاء)
قبل إدغامها في الطاء — الثانية

وعلى الرغم من وجود هذا التعقيد والصعوبة في النطق التي أقرّها بعض القدماء والمحدثين، فإنّ الدكتور عبد الصبور شاهين يرى أنّ النطق بثلاثة صوامت متجاورة مظهر من مظاهر التأنق لا يتوفر إلاّ في لهجة قريش، إذ يقول: ((فإذا صحّت نسبة هذه الظاهرة إلى قريش، كان لنا أن نعدّ هذا النطق بصوامت ثلاثة متجاورة دون الإخلال بواحدٍ منها شيمة من شيم التأنق في نطق الكلمات، ومظهر من مظاهر الفصاحة، وتحقيق الأصوات، ونهجاً في تكوين الكلمة يميز لغة قريش عن سائر اللغات))[٧٣] لا بل إنّه ينفي أيّة صعوبة في نطق مثل هذه الكلمات في لهجتهم، فيقول: ((ولكنّا لا نظنّ أنّ صورة هذه الصعوبة كانت متحققة فعلاً في نطق القرشيين

ونرى أنّ نطقهم لمثل كلمة (نِعْمّا)، كان يمرّ بالأصوات مرورا سهلاً، كما يمرّ الناطق بأصوات الكلمة الأجنبية (Monstre) حيث تتجاور فيها ثلاثة صوامت ساكنة))[٧٤]، في حين أنّ من المحدثين من يرى أنّ هذا الأمر لا تبيحه العربية ؛ ((لأنّ تحقق زمان ثلاثة صوامت غير ممكن في التشكيل الصوتي العربي، لأنّه يقتضي تجاور ثلاثة صوامت فعلاً من دون فصل، وهذا ما لا يكون))[٧٥]، على خلاف بعض اللغات التي تجيز ذلك، كالفارسية مثلاً، قال ابن جني: ((ومن طريف حديث اجتماع السواكن شيءٌ وإن كان في لغة العجم ... وذلك قولهم:(آرْدْ) للدقيق، و(ما سْتْ) للّبن فيجمعون بين ثلاثة سواكن))[٧٦]، أو اللّغة الأجنبية ((حيث ينطقون بصامتين أو بثلاثة صوامت في بداية الكلمة دون أدنى وسيلة صوتية، ومن ذلك (Platon) التي قلبت في العربية (أفلاطون) وكلمة (Street) التي تتابعت فيها أصوات ثلاثة صامته دون حركة بينها))[٧٧].

ثانياً: الوجهة الأدائية (الصوتية)، بمعنى أن نتعامل مع الصوت المشدد صوتاً واحداً لا صوتين من الناحية النطقية (الأدائية)، وهذا الصوت ينماز بميزات تنأى به عن طبيعة الحرف الواحد (غير المدغم) و كيفية نطقه، ومن ثمّ لا مشكل بعد في توجيه مثل هذه القراءات على ما سيأتي في قادم البحث.

يظهر من النصوص التراثية المتوفرة لدينا أنّ يونس بن حبيب (ت ١٨٣هـ) أستاذ الخليل (ت١٧٥هـ) وسيبويه، أوّل من جعل الصوت المشدد صوتاً واحداً، وذلك في (النسب)، إذ جعل الاسم الخماسي المختوم بألف منقلبة عن أصل وما قبلها صوت مشدد بمنزلة الرباعي، نحو: مثنّويّ جعله بمنزلة الرباعي : ملهويٌّ ؛ وذلك بعدّه الصوت المشدد (المدغم) صوتاً واحداً، الأمر الذي أثار اعتراض سيبويه عليه ؛ لأنّه يعدّ الصوت المشدد صوتين لا واحداً، قال سيبويه: ((وزعم يونس أنّ مثنّى بمنزلة مِعْزى ومُعْطى، وهو بمنزلة مُرامى ؛ لأنّه خمسة أحرف، وإن جعلته كذلك فهو ينبغي له أن يجيز في عِبدَّى: عِبَدّويٌّ كما جاز في حُبْلى : حُبْلويٌّ. فإن جعل النون بمنزلة حرفٍ واحدٍ وجعل زنته كزنته، فهو ينبغي له إن سمّى رجلاً باسم مؤنث على زنة مدغم مَعدٍّ مثله أن يصرفه، ويجعل المدغم كحرف واحد. فهذه النون الأولى بمنزلة حرفٍ واحد ساكن ظاهر. وكذلك يجري في بناء الشعر وغيره))[٧٨]، وقال أبو علي الفارسي: ((إنّ من العلماء بالعربية من جعل المدغم مع المدغم فيه بمنزلة حرف واحد، وذلك قول يونس في النسب إلى (مثنّى): مثنّويٌّ، جعله بمنزلة ملهويٌّ))[٧٩]. وقال الرضي في حديثه عن النسب إلى الخماسي الذي آخره ألف : ((وأمّا الخامسة فما فوقها، فإنّها تحذف في النسب مطلقاً منقلبة كانت أو غيرها بلا خلاف بينهم، إلاّ أن تكون خامسة منقلبة وقبلها حرف مشدد، فإنّ يونس جعلها كالرابعة في جواز الإبقاء والحذف فَمعلّى عندها كأعلى))[٨٠]، وعقب محققو الكتاب في الهامش على ذلك بقولهم: ((فإن كانت الألف خامسة وفيما قبلها حرف مشدد، فإن كانت للتأنيث، فقد أجمعوا على وجوب الحذف، تقول في (عِبدّى، وكفرّى، وزمكّى : عبدّيٌّ، وكفرّيٌّ، وزمكّيٌّ) وإن كانت الألف في هذا الحال لغير التأنيث مثل: مُعدّى، ومصلّى ومعلّى، فيونس يجوّز فيها القلب والحذف حملاً على الرابعة ؛ لأنّ الحرف المشدد بمنزلة الحرف الواحد، وسيبويه يوجب فيها حينئذٍ الحذف اعتدادا بالحرف المشدد كحرفين))[٨١].

ومن النحويين الذين جعلوا الصوت المشدد بمنزلة صوت واحد متحرك فجمع على أثره بين ساكنين في درج الكلام، أبو علي الفارسي، إذ قال: ((فأمّا قراءة نافع (لا تَعْدّوا) فإنّه يريد (لا تفتعلوا)، فأدغم التاء في الدال ؛ لتقاربهما ؛ لأنّ الدال تزيد على التاء بالجهر، وكثير من النحويين ينكرون الجمع بين ساكنين إذا كان الثاني منهما مدغماً، ولم يكن الأوّل حرف لين، نحو: دابّة ... ويقولون: إنّ المدّ يصير عوضاً عن الحركة، وقد قالوا: ثوْبْ بَكر، وجيْبْ بكر، فأدغموا والمدّ الذي فيهما أقل من المدّ الذي يكون إذا كان حركة ما قبلهما منهما، وساغ فيه وفي نحو: أُصَيْمٍّ ... ودُوَيْبّه، فإذا جاز ما ذكرنا مع نقصان المدّ الذي فيه، لم يمتنع أن يجمع بين

ساكنين في نحو (تعْدّوا)، و(تخْطّف)، وقد جاء في القراءة، وجاز ذلك ؛ لأنّ الساكن الثاني لمّا كان يرتفع اللسان عنه، وعن المدغم فيه ارتفاعة واحدة صار بمنزلة حرفٍ متحرك))[٨٢]. ونقل لنا ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) عن أبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) قوله في قراءة من قرأ (وما اسْطّاعوا) : ((وجمع بين ساكنين وصلاً، والجمع بينهما في مثل ذلك جائز مسموع. وقال أبو عمرو: وممّا يقوّي ذلك ويسوّغه أنّ الساكن الثاني لمّا كان اللسان عنده يرتفع عنه، وعن المدغم فيه ارتفاعة واحدة صار بمنزلة حرف متحرك، فكأنّ الساكن وَلِيَ متحركاً...))[٨٣]، فقد عدّ الصوت المدغم (المشدد) صوتاً واحداً متحركاً، ولم يقتصر على ذلك، بل وصف لنا طول هذا الصوت، وطريقة النطق به التي تميّزه عن الصوت الواحد، فقال: ((وأمّا المدغم من الحروف، فحقّه إذا التقى بمثله، أو مقاربه، وهو ساكن، أن يدخل فيه إدخالاً شديداً، فيرتفع اللسان بالحرفين ارتفاعةً واحدةً لا فصل بينهما بوقف، ولا بغيره، ويعتمد على الآخر اعتمادةً واحدةً، فيصيرا بتداخلهما كحرف واحدٍ لا مهلة بين بعضه وبعضه، ويُشدُّ الحرف، ويلزم اللسان موضعاً واحداً، غير أنّ احتباسه في موضع الحرف لما زيد فيه من التضعيف، أكثر من احتباسه بالحرف الواحد))[٨٤]، وكأنّ أبا عمرو الداني يقارب بين الصوت المشدد، والصوت الواحد في النطق تقارباً يكاد أن يقول فيه: إنّ الصوت المشدد (المدغم) صوت واحد، وهذا نتلمسه من وصفه، إذ إنّ المدغم يدخل في المدغم فيه إدخالاً شديداً، ويكون اللسان مصحوباً بارتفاعة واحدة من دون فصل، مع اعتماد أحدهما على الآخر اعتمادة واحدة، فضلاً عن شدّ اللسان، ولزومه موضعاً واحداً، ومن ثمّ لا مناص بعد من النطق بالصوت المشدد كصوت واحد، إلاّ أنّ الفرق بينهما يكمن في زيادة الانحباس، إذ إنّ طول الانحباس ومدته في الصوت المشدّد أكثر من الصوت الواحد.

وممّن فرّق بين الحرف المدغم وغير المدغم، وأجاد في تفريقه، المالقي (ت ٧٠٥هـ)، إذ يقول: ((ويحصل الفرق بين الحرف المدغم وغير المدغم من وجهين: أحدهما، أنّ المدغم مشدّدٌ، وغير المدغم مخفف، فعلى هذا كل حرف مشدد مدغم. والوجه الثاني : أنّ زمان النطق بالحرف المدغم أطول من زمان النطق بالحرف غير المدغم بقدر ما فيه من التضعيف، كما أنّ زمان النطق بالحرفين المفككين أطول من زمان النطق بالحرف المدغم))[٨٥]. وربّما يكون الجاربردي (ت ٧٤٦هـ) أكثر دقة في وصف طول الصوت المشدد، إذ قال: ((وزمانه أطول من زمان الحرف الواحد، وأقصر من زمان الحرفين))[٨٦]. وكان الرضي الاستراباذي أكثر صراحة في عدّه الصوت المدغم صوتاً واحداً، حين قال: ((والذي أرى أنّه ليس الإدغام الاتيان بحرفين، بل هو الاتيان بحرف واحدٍ مع اعتماد على مخرجه قويٍّ، سواء كان ذلك الحرف متحركاً، نحو: يمدُّ زيدٌ، أو ساكناً، نحو: يمدّ وقفاً))[٨٧].

وخلاصة وصف الصوت المشدد (المدغم) في نصوص القدماء المتقدّمة، تتلخص بـــ :

١- إنّه صوت واحدٌ متحرك، وهذا يتضح من جعل يونس الاسم الخماسي الذي قبل آخره حرف مشدد بمنزلة الرباعي، وقول أبي علي (صار بمنزلة حرف واحد متحرك)، وقول الداني : (فكأنّ الساكن وَلِيَ متحركاً)، ومن ثمّ لا مشكل بعد في تمرير مثل هذه القراءات وقبولها، طالما ولِيَ الساكن متحركٌ، وفي هذا الأمر تبديد لالتقاء الساكنين.

٢- زيادة الانحباس عند النطق به كما بيّن ذلك الداني، وهو ما يوازي قول الرضي: (مع اعتمادٍ على مخرجه قويّ).

٣- الطول النسبي المتوسط (زمن النطق) ما بين الصوت الواحد، والصوتين، وخير من مثّل هذا الوصف (الجاربردي)، والمالقي. وهذا الوصف قريب جداً ممّا توصل إليه أحدُ الباحثين المحدثين الذي يرى أنّ ((الصوت المشدد = إغلاق مطوّل + اعتماد قويّ + إتباع بمصوّت))[٨٨].

ومن المحدثين الذين رأوا في الصوت المشدد صوتاً واحداً من الناحية الصوتية، الدكتور عبد الصبور شاهين، إذ يقول: ((فإذا نظرنا إلى طبيعة العملية النطقية، ووحدتها قلنا: إنّه صامت طويل يشبه الحركة الطويلة التي تساوي ضعف الحركة القصيرة هذا من الناحية الصوتية))[٨٩]، وقال أيضاً: ((فأمّا ما قيل إنّه إدغام المثلين ... مثل: قدْ دَخل، فالدال الأولى لقيت دالاً مثلها، ونطق الصوتان صوتاً واحداً دون أدنى تغيير))[٩٠]. وقال الدكتور أحمد مختار عمر: ((وعلى هذا فإنّ الإدغام يمكن أن يفهم على أنّه إزالة الحدود بين الصوتين المدغمين، وصهرهما معاً، أو على أنّه إحلال صوت ساكن طويل محل الصوتين القصيرين))[٩١]. وقال فندريس: ((من الخطأ أن يقال بأنّه يوجد ساكنان في (atta) وساكن واحد في (ata)، فالعناصر المحصورة بين الحركتين في كلتا المجموعتين واحدة، عنصر انحباسي يتبعه عنصر انفجاري، ولكن بينما نجد الانحباس في مثل: (ata) يتبعه العنصر الانفجاري مباشرةً، نجده في (atta) ينفصل عنه بإمساك يطيل مدى الإغلاق))[٩٢]. وقال أستاذنا الدكتور جواد كاظم عناد : ((إنّ عدّ المدغم صامتين متماثلين لا يعني سوى جمع للزمان الذي يستغرقه نطقهما، فكأنّ الطول الزماني للصامت المشدد يعدل زمان النطق بصامتين متماثلين ... وليس من تخريج لهذه الزيادة سوى إطالة الإغلاق الذي يتعرض له الصامت المدغم قبل الانفجار وإتباعه بمصوّت))[٩٣]، لا بل إنّ من الباحثين المحدثين من يرى أنّ الصوت الأوّل من المشدد ساقط من النطق، وأنّ الضغط على الصوت الثاني في النطق عوضٌ عنه، إذ قال: ((حتى لو ضاعفنا الضغط ألف مرّة، فإننّا لا ننطق إلا بحرف واحد بصوت قوي))[٩٤].

أثر الإدغام في التحوّلات المقطعية للقراءات

بقي عندنا أن نقف عند التقسيم المقطعي لمثل هذه القراءات، وما ينجم من تغيّر مقطعي قبل وبعد الإدغام فممّا لاشك فيه أنّ المقاطع التي تتألف منها هذه القراءات قبل الإدغام، مقاطع مألوفة في البنية المقطعية العربية، كما يتضح في بعض هذه الأمثلة:

يخْتَطِفُ : ي ـَ خ / ت ـَ ط ـِ ف ـُ (قبل الإدغام)

يخْتَصِفان : ي ـَ خ / ت ـَ ص ـِ / ف ـً ن (قبل الإدغام)

شَهْرُ رَمضان: ش ـَ ه / ر ـُ / ر ـَ م ـَ / ض ـً ن / ـَ (قبل الإدغام)

الرُعْبَ بِما: ء ـَ ل / ر ـُ ع / ب ـَ / ب ـِ / م ـً (قبل الإدغام)

هَلْ تتربّصونَ:هـَ ل / ت ـَ / ت ـَ / ر ـَ ب / ب ـَ / ص ـُ / ن ـَ (قبل الإدغام)

أنْ تتولوا : ء ـَ ن / ت ـَ / ت ـَ / و ـَ ل / ل ـّ (قبل الإدغام)

بيد أنّ المشكل يظهر بعد الإدغام، إذ ينشأ لنا نوع خاصّ من المقاطع غير مألوف وغير شائع في التقسيم المقطعي العربي، ولم يدرجه المحدثون في عداد مقاطعهم التي حدّدوها بستة مقاطع[٩٥]، إلاّ أنّ قلته وعدم شيوعه لا يقدح في صحته، ولا ينقص من قدره، فالقراءات سبعية وعشرية ((فلا ينبغي أن تُحمل على ما تجوّزه العربية))[٩٦]. لذا يرى الباحث ضرورة إدراج مثل هذا المقطع في عداد المقاطع العربية، وأن يصطلح عليه بمصطلح خاصٍ به، طالما وجدت تحققات لغوية بهذا المستوى.

وممّا ينبغي التنبيه إليه ههنا أنّ هذا المقطع مقطع صوتي لا تشكيلي، إذ لو ذهبنا مع كونه مقطعاً تشكيلياً لنجم عن الصورة المقطعية أمران :

١- تتابع لصامتين في مقطع واحد من دون مصوّت يفصل بينهما، وهذا غير شائع في نظرهم[٩٧]، وإن وجد في بعض اللهجات العربية (العاميّة)، يقول الدكتور كمال بشر: ((المقطع لا يبدأ بصوتين صامتين كما لا يبدأ بحركة، وإن لوحظ وقوع الصورة الأولى في بعض اللهجات العاميّة الحديثة كما في لهجة (عالية) بـــ(لبنان) في مثل: سْتْعد St/Eidd))[٩٨].

٢- تراكم لمجموعة من الصوامت في مقطعين متجاوزين (اجتماع ثلاثة صوامت) من دون مصوّت، وهو غير جائز لما تقرر مسبقاً[٩٩] فالمقطع الأوّل ينتهي بصامت، والثاني يبدأ بصامتين، كما في الصورة المقطعية الآتية[١٠٠]:

يَخْطَّفُ: ي ـَ خ/ طّ / ف ـُ (المقطع تشكيلي أي الصوت المشدد يساوي صوتين نطقاً وتشكيلاً)

يَخْصّفان: ي ـَ/خ صّ/ ف ـَ ن (المقطع تشكيلي أي الصوت المشدد يساوي صوتين نطقاً وتشكيلاً)

شَهْرُ رَّمضان: شـَ ه/رَّ مـَ /ضـَ/ن ـَ / (المقطع تشكيلي أي الصوت المشدد يساوي صوتين نطقا وتشكيلاً)

الرعْبْ بّما:ء ـَ ل/ رـُع بّ /م ـً / (المقطع تشكيلي أي الصوت المشدد يساوي صوتين نطقا وتشكيلاً)

هَلْ تّربّصونَ:هـ ـَ ل تّ/ رـَ ب/ ب ـَ / ص ـُّ/ن ـَ/ (المقطع تشكيلي أي الصوت المشدد يساوي صوتين نطقاً وتشكيلاً)

أنْ تّوَلّوا: ء ـَ ن تّ/ وـَ ل/ ل ـّ / (المقطع تشكيلي أي الصوت المشدد يساوي صوتين نطقاً وتشكيلاً)

أمّا إذا ذهبنا مع ما تقرّر من أنّ المقطع مقطع صوتي – وهذا لا مناص منه – وأنّ الصوت المدغم في النطق صوتٌ واحد متحرك ((يتطلب طاقة في النطق أكبر نسبيّاً، كما يتطلب من أعضاء النطق مجهوداً أشد))[١٠١]، وينطقه اللسان بارتفاعةٍ واحدةٍ، علمنا أنّ الصامت الأوّل (الحرف الصحيح) في هذه القراءات قد تُبع بـ(متحرك) اتصف بمواصفات خاصّة أدنته من مقام الحرف الواحد، ونأت به عن مقام الحرفين. ومن ثمّ بعد لا تجاور ما بين صامتين في مقطع واحدٍ، ولا تتابع لثلاثة صوامت في مقطعين متجاورين ؛ طالما عُدّ الصوت المدغم صوتاً واحداً متحركاً، وإنّما هو تجاور ما بين صامت وآخر متحرك، وهو ما يتماشى مع ما نقله ابن الجزري عن الداني في توجيه هذه القراءات بقوله: ((وممّا يقوّي ذلك ويسوغه أنّ الساكن الثاني لمّا كان اللسان عنده يرتفع عنه وعن المدغم فيه ارتفاعة واحدة، صار بمنزلة حرفٍ متحرك، فكأنّ الساكن وَلِيَ متحركاً))[١٠٢].

الخاتمة

في نهاية هذا البحث يمكن أن أُوجز ما توصلتُ إليه، بالآتي:

١- يمكن أن يضاف مظهر (التقاء الساكنين بأثر الإدغام) إلى مظاهر التقاء الساكنين في العربية دراسةً وتوجيهاً، خاصّة وأنّ المتقدمين غفلوا عن ذكر هذا المظهر ضمن الأبواب التي عقدوها لدراسة ظاهرة التقاء الساكنين في كتبهم، كظاهرة التقاء الساكنين في الوقف وغيرها.

٢- إنّ عدّ الصوت المدغم (المشدّد) صوتاً واحداً في النطق، كان السبيل الوحيد لتوجيه مثل هذه القراءات، مع لحاظ إنّ هذا الصوت ينماز بميزات ترتفع به عن ماهية الصوت الواحد (غير المدغم)، وطريقة النطق به.

٣- تبيّن ممّا تقدّم أنّ يونس بن حبيب، هو أوّل من جعل الصوت المدغم صوتاً واحداً، وذلك في النسب، وقد أفاد من ذلك بعض النحويين والقراء في توجيه هذه القراءات.

٤- من التقسيم المقطعي للقراءات الخاصّة بهذه الظاهرة، يتضح لنا أنّ المقطع الخاصّ بالصوت المدغم هو (مقطع صوتي) لا تشكيلي ؛ وذلك لأنّ التقسيم المقطعي من ناحية التشكيل ينتج لنا مقطع خاصّ لم يدخله المحدثون في عِداد مقاطعهم.

٥- تماشياً مع عدِّ المقطع الخاص بالصوت المدغم مقطعاً صوتياً، وأنّه يتكوّن من صوتٍ واحد متحرك في النطق، فإنّ ذلك يترتب عليه ألاّ تجاور ما بين صامتين في مقطع واحد في مثل هذه القراءات ولا اجتماع لثلاثة صوامت في مقطعين متجاورين.

الهوامش

١- شرح المفصّل : ٩/١٢٠-١٢١.

٢- ينظر: المصدر نفسه: ٩/١٢٠-١٢٣، والتكملة: ١٧٧، وشرح الشافية، الرضي : ٢/٣٣٩-٣٥٠ والإيضاح في شرح المفصّل: ٢/٣٥٣.

٣- شرح المفصل : ٩/١٢٠.

٤- المصدر نفسه : ٩/١٢٢.

٥- شرح الشافية، الرضي : ٢/ ٣٤٨، والإيضاح في شرح المفصل : ٢/٣٥٣.

٦- شرح الكافية، الرضي : ٤/٣٠٣، وينظر: شرح الشافية، الرضي : ٢/٣٤١ (الهامش).

٧- شرح المفصل : ٩/١٢٣، وينظر: شرح الشافية، الرضي : ٢/٣٤٨-٣٤٩.

٨- اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٩٧.

٩- ينظر مثلا : التكملة : ١٧٧-١٨١، وشرح الشافية، الرضي : ٢/٣٤٩-٣٦٥، والإيضاح في شرح المفصل: ٢/٣٥٤، والمقرّب : ٣٧٠.

١٠-شرح الشافية، الرضي : ٢/٣٥٥.

١١-هذا البيت لرجل من أزد السراة : ينظر: الكتاب ١/٣٤١و٢/٢٥٨، والتكملة : ١٧٣، وشرح الشافية، الرضي: ٢/٣٥٧، وخزانة الأدب : ١/٣٩٧.

١٢-شرح الشافية، الرضي : ٢/٣٤٩، وينظر: المفصل في صنعة الإعراب : ٤٨٢.

١٣-ص : ٤١- ٤٢.

١٤-المفصل في صنعة الإعراب : ٤٥، وشرح المفصل : ٩/٣٤-٣٥.

١٥-ينظر: السبعة لابن مجاهد : ٧٠١، والبحر المحيط : ٥٢٨/٨، وشرح المفصل: ٣٥/٩.

١٦-الحُجّة للقراء السبعة : ٤١٣/٤، وينظر : المفصل في صنعة الإعراب : ٤٨٥، وشرح الشافية، الرضي: ٣٦٤/٢.

١٧-الفاتحة: ٧.

١٨-المحتسب: ١٢٤/١.

١٩-الكتاب: ١٧٣/٤.

٢٠-شرح المفصل: ٧١/٩.

٢١-إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : ١٧٤.

٢٢-البقرة : ٢٠.

٢٣-معاني القرآن، الفراء : ١/ ١٨.

٢٤-السبعة في القراءات : ١٤٦، وينظر : المحتسب : ١٤٠/١، ومعجم القراءات القرآنية : ٣٣/١.

٢٥-المحتسب : ١٤٠/١، وينظر : إعراب القرآن، النحاس : ٢٦.

٢٦-البحر المحيط : ٩٠/١.

٢٧-البقرة :٢٧١، و (نعْمّا) : النساء : ٥٨.

٢٨-الحجة للقراء السبعة : ٣٩٦/٢، ومعجم القراءات القرآنية : ٢١١/١ و ١٤١/٢.

٢٩-معاني القرآن وإعرابه، الزجاج : ٥٤/٢.

٣٠-البحر المحيط : ٢٧٨/٣.

٣١-الأعراف : ٢٢.

٣٢-تاج العروس : مادة (خصف).

٣٣-معاني القرآن، الأخفش : ١٩١.

٣٤-الأنفال : ٩.

٣٥-بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي : مادة (ردف).

٣٦-إعراب القرآن، النحاس : ٣٤٢.

٣٧-يونس : ٣٥.

٣٨-الحجة للقراء السبعة : ٢٧٤/٤، وينظر: السبعة : ٣٢٦، ومعجم القراءات القرآنية : ٧٣/٣.

٣٩-معاني القرآن وإعرابه، الزجاج : ١٧/٣.

٤٠-الكهف : ٩٧.

٤١-الحجة للقراء السبعة : ١٧٨/٥، والسبعة : ٤٠١، والنشر في القراءات العشر : ٣١٦/٢، ومعجم القراءات القرآنية: ١٧/٤.

٤٢-إعراب القرآن، النحاس : ٥٥٥.

٤٣-معاني القرآن وإعرابه، الزجاج : ٢٥٥/٣.

٤٤-يس : ٤٩.

٤٥-الحجة للقراء السبعة : ٤١/٦، والسبعة : ٥٤١، ومعجم القراءات القرآنية : ٢١١/٥.

٤٦-معاني القرآن، الفراء : ٣٧٩/٢.

٤٧-إعراب القرآن، النحاس : ٨٢٣.

٤٨-النساء : ١٥٤.

٤٩-الحجة للقراء السبعة : ١٩٠/٣، والسبعة : ٢٤٠، ومعجم القراءات القرآنية : ١٧٨/٢.

٥٠-الحجة للقراء السبعة : ١٩١/٣.

٥١-إعراب القرآن، النحاس : ٢١٤.

٥٢-هو ما كان الأوّل من الحرفين فيه متحركا سواء أكان مثلين أم جنسين أم متقاربين. (ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢٧٤/٢.

٥٣-النشر في القراءات العشر : ٢/ ٢٧٥.

٥٤-ينظر : على التتابع : البقرة : ١٨٥، وآل عمران : ١٥، والنور : ٦٢، ومريم : ٢٩، والشورى : ٤١، والأعراف: ١٩٩، والبقرة : ٣٠.

٥٥-ينظر : التهذيب لما تفرد به كل واحد من القراء السبعة : ٦١-٦٣، والكشف عن وجوه القراءات السبع : ٣٦٠/١-٣٦١، والنشر في القراءات العشر : ٢٣٢/٢ – ٢٣٣، والإقناع في القراءات السبع : ٣٨٣.

٥٦-ينظر : على التتابع : التوبة : ٥٢، وهود : ٣، والنور : ١٥ و٥٤، والشعراء : ٢٢١، والحجرات: ٥٢، والممتحنة: ٩، والليل : ١٤، والقدر : ٣-٤.

٥٧-الكتاب : ٤/ ٤٣٨.

٥٨-معاني القرآن، الأخفش : ١٦٦.

٥٩-معاني القرآن، الفراء : ١/ ١٨.

٦٠-معاني القرآن وإعرابه، الزجاج : ٢٥٥/٣.

٦١-الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه : ١٠٢.

٦٢-المصدر نفسه : ٦٥.

٦٣-شرح المفصل : ١٠/ ١٤٧.

٦٤-التبصرة : ٥٨٢.

٦٥-النشر: ٢٩٢/١.

٦٦-غيث النفع : ١٠٥.

٦٧-الحجة لأبي علي الفارسي : ٤٢/٦.

٦٨-المصدر نفسه : ٣٥٦/٤.

٦٩-ينظر : ص ٢-٣ من هذا البحث.

٧٠-الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي : ٣٤٣.

٧١-المنهج الصوتي للبنية العربية : ٢٠٧.

٧٢-ينظر : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : ٤١١، وتجاور الصوامت في العربية : ٣٢- ٣٩.

٧٣-أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : ٤٠٨.

٧٤-المصدر نفسه : ٤١٥.

٧٥-تجاور الصوامت في العربية : ٤٧.

٧٦-الخصائص : ٩٠/١.

٧٧-أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : ٤٠٩، وعلم الأصوات اللغوية : ١٢٣.
٧٨-الكتاب : ٣/٣٥٦-٣٥٧.
٧٩-الحجة لأبي علي الفارسي : ٣/ ١٩١- ١٩٢.
٨٠-شرح الشافية، الرضي : ٢/٢٢٩.
٨١-المصدر نفسه : ٢/٢٣٠ (الهامش).
٨٢-الحجة لأبي علي الفارسي : ٣/ ١٩١.
٨٣-النشر في القراءات العشر : ٢/٣١٦.
٨٤-التحديد : ٩٩.
٨٥-الدر النثير و العذب المنير في شرح كتاب التيسير : ٦٤.
٨٦-شرح الشافية، الجاربردي : ١/٣٢٧.
٨٧-شرح الشافية، الرضي : ٣/٢٣٥.
٨٨-تجاور الصوامت في العربية : ٤٣.
٨٩-المنهج الصوتي للبنية العربية : ٢٠٧.
٩٠-علم الأصوات، مالبرج : ٤٧.
٩١-دراسة الصوت اللغوي : ٣٨٧-٣٨٨.
٩٢-اللغة : ٤٩.
٩٣-تجاور الصوامت في العربية : ٤٥.
٩٤-القراءات القرآنية في ضوء القياس اللغوي والنحوي (أطروحة دكتوراه) : ٢٣.
٩٥-ينظر : الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس : ١٣١- ١٣٨، ودروس في علم الأصوات العربية، جان كانتينو : ١٩١-١٩٤، والعربية الفصحى، هنري فليش : ٤٢-٤٦، وأصوات اللغة : د. عبد الرحمن أيوب: ١٣٣-١٤٧، ومناهج البحث في اللغة، د. تمام حسّان : ١٣٨- ١٤٦، وأصوات اللغة العربية، د. عبد الغفور هلال : ١٩٩-٢١٠.
٩٦-الحجة لأبي علي الفارسي : ٤/٣٥٦.
٩٧-ينظر : المدخل إلى علم أصوات العربية : ٢٠٦، وعلم الأصوات اللغوية : ١٢٣.
٩٨-علم الأصوات : ٥٠٩.
٩٩-ينظر : ص ١٠ من هذا البحث.
١٠٠- ينظر : تجاور الصوامت في العربية : ٤٩.
١٠١-علم الأصوات، د. كمال بشر : ٥١٣.
١٠٢-النشر في القراءات العشر : ٢/٣١٦.

المصادر والمرجع

- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، أبو عمرو بن العلاء، د. عبد الصبور شاهين، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.
- أصوات اللغة، د. عبد الرحمن أيوب، ط١، مطبعة: دار التأليف، مصر، ١٩٦٣م.
- أصوات اللغة العربية، د. عبد الغفور هلال، ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٦م.

- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت .
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت٣٧٠هـ)، مطبعة: المكتبة الثقافية، بيروت – لبنان، ١٩٨٧م.
- إعراب القرآن، النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ)، تح: خالد العلي، ط٢، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ٢٠٠٨م.
- الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش، أبو جعفر أحمد بن خلف الأنصاري (ت ٥٤٠هـ)، تح: أحمد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- الإيضاح في شرح المفصل، ابن الحاجب، أبو عمر عثمان بن عمر (ت ٦٤٦هـ)، تح: د. موسى بناي العليلي، مطبعة: العاني، بغداد، ١٩٨٣م.
- البحر المحيط، الأندلسي، أبو حيّان محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي مجد الدين بن محمد، تح: محمد علي النجار، دار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، إيران، ١٣٨٣هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي محب الدين محمد مرتضى، مطبعة: بولاق، ١٣٠٧هـ.
- التبصرة في القراءات السبع، القيسي مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)، تح: محمد غيث الندوي، الدار السلفية، الهند، د.ت.
- تجاور الصوامت في العربية (قراءة أخرى)، د. جواد كاظم عناد، المركز الثقافي العراقي، العراق– الديوانية، ٢٠٠٨م.
- التحديد في الاتقان والتجويد، الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ)، ط٢، تح: د. غانم قدوري الحمد، دار عمّار، عمّان، ١٩٩٩م.
- التكملة، الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد (ت ٣٧٧هـ)، تح: كاظم بحر المرجان، دار الكتب للطباعة، جامعة الموصل، ١٩٨١م.
- التهذيب لما تفرد به كل واحد من القراء السبع، الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد، تح: د. حاتم الضامن، ط١، دار نينوى، دمشق – سوريا، ٢٠٠٥م.
- الحُجّة في القراءات السبع، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، تح: أحمد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- الحُجّة للقراء السبعة، الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد، تح: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي، ط١، دار المأمون للتراث، بيروت، ١٩٨٤م.
- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، البغدادي عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ)، تح:عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٩م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجار، ط٢، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٢م.
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي، د. حسام سعيد النعيمي، دار الطليعة للطباعة، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠م.

- دراسة الصوت اللّغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- الدر النثير والعذب النمير في شرح كتاب التيسير، المالقي، أبو محمد عبد الواحد بن محمد (ت٧٠٥هـ)، تح: د. محمد حسّان الطيّان، ط١، مطبعة: دار البعث، دمشق، ٢٠٠٦م.
- دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة : صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، ١٩٦٦م.
- السّبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، تح: د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.
- شرح شافية ابن الحاجب، الجاربردي أحمد بن الحسن (ت ٧٤٦هـ)، ط٣، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- شرح شافية ابن الحاجب، الاستراباذي رضي الدين محمد بن الحسن (ت ٦٨٦هـ)، تح: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٥م.
- شرح كافية ابن الحاجب، الاستراباذي رضي الدين محمد بن الحسن، تح: يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، ١٩٧٨م.
- شرح المفصل، ابن يعيش موفق الدين يعيش بن علي (ت ٦٤٣هـ)، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- العربية الفصحى نحو بناء جديد، د. هنري فليش، تح: د. عبد الصبور شاهين، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣م.
- علم الأصوات، برتيل مالمبرج، تعريب: د. عبد الصبور شاهين، مطبعة : التقدم، القاهرة، ١٩٨٥م.
- علم الأصوات اللغوية، د. مناف الموسوي، ط٣، دار الكتب العلمية، بغداد، ٢٠٠٦م.
- غيث النفع في القراءات السبع، السفاقسي علي النوري بن محمد (ت ١١١٨هـ)، تح: أحمد محمد الشافعي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
- القراءات القرآنية في ضوء القياس اللّغوي والنحوي، أطروحة دكتوراه، حامد عبد المحسن الجنابي، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٩٩٦م.
- الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ)، تح : عبد السلام هارون، ط٢، دار الجيل للطباعة، القاهرة، ١٩٨٢م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، القيسي مكي بن أبي طالب، تح : عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- اللغة، فندريس، تعريب:عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مطبعة: لجنة البيان العربي القاهرة١٩٥٠م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسّان، ط٣، عالم الكتب، مصر، ١٩٨٨م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جنّي، تح : محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- المدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم قدوري الحمد، مطبعة: المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٢م.
- معاني القرآن، الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ)، تح: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- معاني القرآن، الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، تح : أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، دار السرور، القاهرة، ١٩٥٥م.

- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ)، تح : د. عبد الجليل شلبي، ط١، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء، إعداد: د. أحمد مختار عمر، و د.عبد العال سالم مكرّم، ط١، مطبعة : الأمير، إيران، ١٤١٢هـ.
- المفصّل في صنعة الإعراب، الزمخشري جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣١هـ)، تح : د. أميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- المقرّب، الأشبيلي ابن عصفور أبو الحسن علي بن مؤمن، تح: أحمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، مطبعة : العاني، بغداد، ١٩٨٦م.
- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسّان، ط٢، دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٧٤م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية (رؤية جديدة في الصرف العربي)، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.
- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، تح : محمد علي الضبّاع، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.